مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية
ISSN: 2352-975X ELBAHITH for Academic Studies EISSN: 2588-2368
المجلد: 06 / العدد: 02 / السنة: 2019 / ص ص: 209 – 225

التأصيل النظري للتحليل الاستراتيجي عند ميشال كروزييه

The Theoretical Rooting Of The Strategic Analysis Of Michel Crozier

تاريخ الإرسال: 2019/04/24 تاريخ القبول: 2019/05/20

بن ساهل لخضر
جامعة باتنة1- الجزائر
sociobl@hotmail.com
عواج طهيرة (*)
جامعة باتنة1- الجزائر
oualahghofrane@yahoo.fr

ملخص:

لم ينطلق التحليل الاستراتيجي عند ميشال كروزييه من فراغ بل نهل من العديد من النظريات التي سبقته، وسوف نحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء على جزء منها، ألا وهي البيروقراطية عند ماكس فيبر، البنائية الوظيفية عند تالكوت بارسونز، ما بعد البنيوية عند بيير بورديو، التفاعلية الرمزية عند هربرت ميد.

الكلمات المفتاحية: التحليل الاستراتيجي؛ البيروقراطية؛ البنائية الوظيفية؛ مابعد البنيوية؛ التفاعلية الرمزية.

Abstract:

The strategic analysis of Michel Crozier did not go out of the blue but rather from the many theories that preceded it, We will try to highlight part of them in this article, the bureaucracy at Max Weber, functional construction at Talcot parsons; the post- structuralism at Pierre Bourdieu, the symbolic interactivity at Herbert Mead.

Keywords: Strategic Analysis; The Bureaucracy; Functional Construction; The Post- Structuralism; The Symbolic Interactivity.

(*)- المُؤَلِفْ المُرَاسِل.

مقدمـــة:

تعتبر النظرية الاجتماعية القاعدة المتينة التي يبني عليها الباحث الاجتماعي أي دراسة، وقد تم تصنيف النظريات عدة تصنيفات أبرزها ذلك الذي قسمها إلى نظريات ماكروسوسيولوجية وأخرى ميكروسوسيولوجية، ومن بين النظريات الميكروسوسيولوجية المعاصرة نجد التحليل الاستراتيجي عند ميشال كروزييه.

أحدثت الدراسات الإمبريقية التي قام بها عالم الاجتماع الفرنسي ميشال كروزييه (1922-2013) إضافة نوعية لعلم الاجتماع، حيث استخدم أسلوبا جديدا في التحليل ألا وهو التحليل الاستراتيجي، جمعت هذه المقاربة المنهجية في طياتها مختلف الرؤى الجوهرية التي أتت بها نظريات سابقة، غير أنها فندت النظرة الكلية للتنظيمات فبعدما كانت النظريات الماكروسويولوجية ترى بأن التنظيم هو الذي يصنع الفرد ويحدد أفعاله وأهدافه من خلال القواعد والقوانين التنظيمية، وكذلك تقسيم العمل، أثبتت ضرورة الاعتماد على الفردانية المنهجية، حيث " تنطلق الفردانية الميتودولوجية من حقيقة أولى، مفادها أن البنيات الاجتماعية هي نتاج لأفعال فردية. وذلك في مقابل أي إقرار بوجود وقائع اجتماعية معطاة غير قابلة للانحلال إلى أفرادها."[(1)]، وبالتالي فإن التحليل الاستراتيجي أتى بنظرة أن الأفراد هم من يصنعون التنظيم وأعطى للفاعل موقعا استراتيجيا في الدراسات السوسيولوجيةمن خلال رؤية جديدة في علم اجتماع التنظيم تقوم على الدراسة والتحليل والتفسير بالانتقال من الجزء ألا وهو الفرد إلى الكل والمتمثل في التنظيم، فالفاعل داخل التنظيم، له سلطة، وهامش حرية يستخدمه، لبلوغ أهدافه وفقا لاستراتيجية يرسمها تبعا للعقلانية المحدودة التي يتمتع بها. محققا أهدافه في ظل الأهداف العامة.

من خلال هذا المنطلق سوف نجيب في هذا المقال على التساؤل الآتي:

- ماهي النظريات التي نهل منها ميشال كروزييه للتأسيس لدراساته؟

مجيبين على الأسئلة الفرعية التالية:

- كيف استطاع كروزييه الاعتماد على النظريات الماكروسوسيولوجية لبناء نظرية ميكروسوسيولوجية؟

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

- ماهي الدعائم التي جمعها كروزييه من النظريات الميكروسوسيولوجية ليستخدمها في تطوير الدراسات القائمة على التحليل الاستراتيجي؟

للإجابة عن هذه التساؤلات سوف نقوم باستخدام المنهج التحليلي في قراءة وتفكيك وتحليل أبرز النظريات التي استلهم منها ميشال كروزييه أفكاره، ألا وهي البروقراطية عند ماكس فيبر، البنائية الوظيفية عند تالكوت بارسونز، مابعد البنيوية عند بيير بورديو، التفاعلية الرمزية عند هربرت ميد.

المحور الأول: البيروقراطية عند ماكس فيبر:

أتى ماكس فيبر بمفهوم البيروقراطية ليقصد بها الترشيد أي إضفاء الصبغة العقلانية على الفعل ومن ثمة تحقيق نموذج كامل ومتكامل، فقد اهتم فيبر بالفعل الاجتماعي حيث يعتبر أن مجمل الأحداث والظواهر الاجتماعية تقوم في أساسا على فعل الأفراد أو فعل مجموعة منهم، كما يرى أن الفعل الإنساني يأخذ بعده الاجتماعي من خلال توفره على مجموعة من المعايير: (2)

أولا- ينبغي على الأشخاص بادئ الأمر أن يدخلوا في حسابهم سلوك الآخرين وكذلك حضورهم أو وجودهم.

ثانيا- الدلالة، فيجب أن نفهم هذا الاصطلاح اللفظي الدقيق بمعنى أن فعل الذات يجيب أن تكون له قيمة أو الرمز بالنسبة إلى الآخرين.

ثالثا- ينبغي أن يتأثر أي فعل اجتماعي بإدراك الفاعلين لدلالة فعل الأشخاص الآخرين ومعناه.

فالفعل الاجتماعي بالنسبة إلى فيبر "يتحدد من خلال المعنى الذي يضيفه الفاعل على هذا الفعل وهذا لا يصبح له معنى أو دلالة إلا بمقدار ما يدخل في الحسبان سلوك الآخرين وبمقدار ما يتأثر بهم في هذا الإطار"(3)

كما أن الفعل الاجتماعي عند فيبر يعبر عن كل ما هو " اجتماعي ثنائي أو علائقي كتصرف أدنى ويجب أن يتضمن الفعل الاجتماعي فاعلا اجتماعيا يفسر ويصرف ويوجه نحو نشاط فعل اجتماعي آخر، أولئك الآخرون الذين يدخلون في العلاقة الاجتماعية (يمكن أن يكونوا أفرادا معروفين لدى الفاعل مثلا أو يمكن أن يكونوا جماعات غير محددة أو أفرادا مجهولين كأشخاص)"(4)

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

وقد اهتم فيبر بالشرعية التنظيمية، أي أن يمارس الحاكم السلطة باعتبارها حقا مشروعا كما يعتقد الأفراد بأنه من واجبهم طاعة الحاكم والامتثال لأوامره، هذه الشرعية تؤدي إلى الاستقرار النسبي لأنساق السلطة المختلفة، إضافة أن ممارسة السلطة على أعداد كبيرة من الأفراد تقتضي وجود هيئة إدارية قادرة على تنفيذ الأوامر وتحقيق الصلة الدائمة بين الرؤساء والمرؤوسين، وقد ميز ماكس فيبر بين ثلاثة أنواع من السلطة:

1- <u>السلطة الكارزمية</u>: وهي التي تكون نتيجة امتلاك شخص لصفات وخصائص معينة تمكنه من فرض سيطرته على الآخرين، لكن الإفراط في استعمال هذه القوة والسيطرة من قبل القائد الكارزمي سوف يؤدي لا محالة إلى التشتت داخل المجتمع، لذلك رأى فيبر أنه من الضروري التوصل إلى نظام ثابت ودائم للسلطة وبالتالي التحكم في هذا الإفراط سوف يظهر روتينية الكاريزما، إذ تساءل فيبر عن مصير الأفراد الذين كانوا يلجأون في جميع أمور حياتهم إلى إرشاد وتوجيه القائد الكارزمي بعد وفاته، لذلك فإنه رأى من الضروري جعل الصفات التي يتميز بها القائد الكاريزمي صفات المجتمع وخصائصه فيجب جعلها من روتين الحياة الاجتماعية.

2- <u>السلطة التقليدية</u>: هي تلك السلطة التي تستمد شرعيتها من الاعتقاد والولاء للعادات والتقاليد، وعادة ما تكون وراثية كما نجد القائد التقليدي غالبا ما يصدر أوامر لتلبية الشخصية لكن في حدود العادات والتقاليد المقبولة.

3- <u>السلطة القانونية</u>: تستمد السلطة القانونية شرعيتها من اللوائح والقواعد والقوانين، وبذلك فهي لا تخضع للاعتبارات والخصائص الشخصية، وقد ربط ماكس فيبر هذه السلطة بالشكل البيروقراطي إذ أن القوة في التنظيم البيروقراطي لا تنسب إلى شخص معين وإنما إلى المركز والوظيفة، كما أن الأفراد يتبعون القائد لاعتقادهم أنه يقوم بتطبيق القواعد والقوانين " والواقع أن دراسة فيبر عن الشرعية التنظيمية، كانت بداية للاهتمام التقليدي بشرعية الضبط التنظيمي وأنساق المكافأة، وهكذا ارتبطت دراسة فيبر عن طبيعة وبناء البيروقراطية بتشريع ميكانيزمات الضبط التنظيمي والتدرج الهرمي"[(5)]

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

وقد كان فيبر من خلال نموذجه المثالي يهدف للوصول إلى الرشد والعقلانية والفعالية ومن ثمة الوصول إلى الأهداف بأفضل وأقصر الطرق إذ أنه يحمل مجموعة من الخصائص والتي تتمثل في: (6)

أ- تحديد الاختصاصات الوظيفية في المنظمة البيروقراطية بصورة رسمية في إطار القواعد واللوائح المعتمدة، واعتماد الصيغ القانونية في إيضاح جوانب التخصص وتقسيم العمل

ب- توزيع الاعمال والأنشطة الإدارية على أفراد (أو أعضاء) المنظمة بصورة رسمية وبأسلوب ثابت ومستقر ومحدد لكل وظيفة.

ج- تخويل السلطات (أو الصلاحيات) لأفراد المنظمة لضمان سير أنشطتها وأعمالها على وفق قواعد واضحة ومحددة، يتم من خلالها تحديد نطاق الإشراف لكل مسؤول إداري.

د- الفصل بين الأعمال الرسمية للموظف وبين الأعمال الشخصية الخاصة به، التي يقوم بها في إطار علاقاته غير الرسمية، ثم الحد من أثر العلاقات الشخصية بين أعضاء المنظمة، وسيادة العلاقات الرسمية بعيدا عن العاطفة والتحيز، وعدم الموضوعية، وإعطائها الدور الأساسي في البناء الهيكلي للمنظمة البيروقراطية.

هـ- تعيين الأفراد العاملين في المنظمة البيروقراطية على وفق المقدرة والكفاءة والخبرة الفنية في النشاطات التي يؤدونها، بما يتلاءم وطبيعة الأعمال المحددة في قواعد وأنظمة العمل في المنظمة البيروقراطية.

و- استناد تركيب المنظمة إلى أساس التدرج الهرمي (أو هرمية التنظيم) واعتماد التنظيم الإداري على مستويات تنظيمية محددة بشكل دقيق وحاسم، حيث تشرف المستويات الإدارية الأعلى على المستويات الأدنى منها في التنظيم، على وفق التسلسل الهرمي للمنظمة وبصورة ثابتة ومحددة.

ز- تعتمد الإدارة البيروقراطية في انتهاجها الأسلوب الرسمي في التعامل مع الأفراد العاملين فيها، على الوثائق، والسجلات، والمستندات، ويجري حفظ هذه الوثائق بصورة يسهل معها تمشية أعمال المنظمة.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

ك- تتصف القواعد والتعليمات التي تطبقها المنظمة البيروقراطية بالشمول، والعمومية، والثبات النسبي، بحيث يستطيع كل فرد فيها استيعاب وفهم القواعد الإدارية السائدة بدقة ووضوح، كما يؤدي هذا الثبات النسبي في الأعمال الموكلة لأفراد المنظمة إلى زيادة الكفاءة والخبرة الفنية والإدارية للعاملين.

رغم وضع فيبر للنموذج البيروقراطي، واعتباره النموذج الأكثر كفاءة إلا أنه يقر أن "الكفاية الناجمة عن النمو التنظيمي في العالم الحديث تشكل أعظم تهديد لحرية الفرد والمنظمات الديمقراطية في المجتمعات الغربية بصفة عامة"[7] حيث أنه درس الديمقراطية داخل التنظيمات من خلال إسقاطه لدراسة الديمقراطية داخل المجتمع ككل، كما أنه درسها بشكل من التناقض، فمن جهة يقر بأن اختيار الموظفين على أساس الشهادة والمؤهل يُغيب العدالة الاجتماعية، وأن قواعد الترقية داخل التنظيم فيها الكثير من الإجحاف، ومن جهة أخرى يقول أن كل الموظفين سواسية أمام سلطة القواعد، وأن اختيار الوظفين على أساس الشهادة فيه إنصاف للمجهود والمال الذي أنفقوه للحصول على هذه الشهادة.

رغم دراسة فيبر للفعل الاجتماعي إلا أنه لم يبرز كون الفرد هو صانع القرار وصانع القيم ولو كانذلك في ظل القوانين التنظيمية، فهو يرى " بوجود نوعين من المعاني: الأول وهو المعنى الموجود واقعيا لفاعل فرد واقعي، والثاني هو المعنى الذاتي الذي ندركه نظريا ونطلق عليه النمط المثالي [...] فهو ينظر إلى الفاعل لا على أساس أنه يستجيب لمؤثر بعينه وإنما على أنه يبذل جهدا ليتلاءم مع أنماط من السلوك المثالي المجرد"[8] إذ أنه وضع نموذجا عقلانيا لما يجب أن يكون وبذلك فإن محاولة تطبيقه الحرفي سيؤدي إلى مجموعة من السلبيات أبرزها الروتين والجمود.

لكن هذا لا ينفي أهمية النموذج المثالي للبيروقراطية إذ أن جل النظريات التي أتت بعده انطلقت منه، كم أن معظم المؤسسات وإلى غاية يومنا هذا تطبق هذا النموذج، وإن لم يكن بحذافيره.

المحور الثاني: البنائية الوظيفية عند تالكوت باسونز[*]:

انطلقت البنائية الوظيفية من انتقاد النموذج المثالي للبيروقراطية وما يترتب عن تطبيقه من جوانب سلبية، وتتمثل هذه الجوانب السلبية أساسا في المعوقات الوظيفية

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

حيث أن الأفراد داخل التنظيم مجبرين على اتباع قواعد واستجابة محددة اتجاه مواقف معينة، وهم يعممون هذه الاستجابة على مواقف متشابهة وبالتالي تحدث النتائج غير المتوقعة، وهي بصفة عامة تدرس التنظيمات ضمن فكرة النسق الاجتماعي " أي تلك العناصر التي يسود بينها نوع من الاعتماد والتساند المتبادل، إذ أن كافة الأنساق يجب أن تعمل من أجل الحصول على حلول لمجموعة من المشكلات حتى يكتب لها البقاء، هذه المشكلات تتعلق بالتوافق، وتحقيق الهدف والتكامل وتدعيم النمط وكل مستوى في التنظيم له مشكلاته تتعلق بالتوافق، وتحقيق الهدف والتكامل وتدعيم النمط وكل مستوى في التنظيم له مشكلاته"[9]، كما أن دراستها للعلاقات تتسم بالشمولية والعموم.

ترى البنائية الوظيفية بأن الأفراد "يمارسون أنواعا شتى من الأفعال، وأثناء أدائهم يتبادلون العلاقات فيما بينهم، وإذا رأى أنه من الضروري المحافظة على هذه العلاقات الاجتماعية فلابد من وجود أنواع أخرى من النشاطات الجزئية التي تكون هادفة إلى الحفاظ على الكل."[10]

من أبرز رواد هذه النظرية تالكوت باسونز الذي اعتبر التنظيم مثله مثل النسق هو عبارة عن نسق اجتماعي لكن التنظيم يختلف عن المجتمع بالوضوح النسبي لأهدافه إذ أوضح أن " التنظيمات تتميز بأنها وحدات اجتماعية لديها أهداف محددة وواضحة نسبيا تسعى إلى تحقيقها، وأن تحقيق هذه الأهداف يفرض وجود إجراءات تنظيمية تضمن تحقيق هذه الأهداف"[11] والذي يعرف النسق الاجتماعي بأنه " جمع من الأفراد الفاعلين الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض في موقف له جانب فيزيقي بيئي، ويكونون مدفوعين بميلهم للإشباع الأمثل لاحتياجاتهم، وتتحدد علاقاتهم بمواقفهم في ضوء رموز مشتركة محددة ثقافيا"[12] أي أن الأفراد الفاعلين داخل النسق الاجتماعي يسعون من أجل تحقيق هدف أساسي ألا وهو تلبية حاجاتهم، إذ تجمعهم علاقات تنتج عنها مواقف يتصرفون وفقا لها بالاستناد إلى ثقافتهم، كما يرى بارسونز أن أنساق الفعل هي عبارة عن نظام مركب من المعاني الثقافية فالحياة الاجتماعية هي عبارة عن محصلة لأفكار البشر، التي تتحكم فيها معاييرهم وقيمهم " فالمعايير هي تلك القواعد المقبولة اجتماعيا التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم، أما القيم فأفضل

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

وصف لها هو أنها ما يعتقده البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة، وهي أيضا لها تأثير في تحديد أفعال البشر. وأهم العمليات عند بارسونز هي عملية توصيل المعاني، أي توصيل الرموز والمعلومات"[13]، كما أن الفعل الاجتماعي هو بحد ذاته عبارة عن نسق لا يمكن فهمه إلا مت خلال تحليله تحليلا نسقيا موضوعيا.

ولما كانت ثنائية الفعل والفاعل حتمية لا يمكن فصلها إذ لا يمكن أن نجد فعلا دون فاعل "الفعل يشتمل في نظره على فاعل، وهدف يوجه إليه الفعل، وموقف يتضمن بدوره بعض العناصر التي يستطيع الفاعل أن يوجهها ويسيطر عليها. وفي داخل كل موقف هناك دائما اختيار لوسائل بديلة أو ما يسميه بارسونز بالتوجيه المعياري للفعل"[14]. وبذا يكون الفعل البارسونزي مكون من عديد العناصر التفصيلية، وهي الإطار المرجعي للفعل الذي ينطوي على ما يلي: [15]

أولا- فاعل: وهو الذي يستهدف غايات ويصطنع وسائل لبلوغ هذه الغايات وبالتالي يمكن أن يكون فردا أو جماعة أو مجتمعا.

ثانيا- موقف: وهو يتضمن مجموعة متنوعة من المنبهات الممكنة، وبصفة خاصة يتمثل في موضوعات وأشياء فيزيقية واجتماعية يرتبط بها الفاعل.

ثالثا- توجيه الفاعل إزاء الموقف: وهي تتمثل في الرموز والقيم والمعايير والقواعد التي تتحكم في توجيه الفاعل، وتتحدد علاقته بغيره من البشر وبيئته الفيزيقية والاجتماعية والتي تضفي على الأفعال معنى معينا، أي هي تصورات لما هو مرغوب فيه أو ما هو مرغوب عنه اجتماعيا.

ركزت البيروقراطية عل تحليل الوظائف الظاهرة في النموذج المثالي للتنظيم، لكن البنائية قامت بالتحليل من خلال الوظائف لظاهرة والكامنة، كما أن تحليلها كان ماكروسوسيولوجي، لكن هذا لا ينفي أنه أشار أنه للوصول إلى هذا التحليل لا بد من تحليل فكر وعواطف الأفراد داخل النسق لمعرفة الوظائف الظاهرة والكامنة وبالتالي فإنها تقر ولو ضمنيا أن للأفراد تأثير على وظائف النسق ككل، فلو كان النسق ككل هو الذي يحدد سلوك الأفراد لما كان هناك انحراف عن المعايير، فالانحراف عن المعايير " يوجد عندما لا تقوم الأهداف الثقافية السائدة المسيطرة مع الوسائل المعيارية الشرعية أو أحدهما بتنظيم سلوك الفاعلين داخل النسق

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

الاجتماعي"[16]، ولبقاء النسق يجب عليه ضمان المتطلبات الأربعة المتمثلة في المواءمة والتي تتمثل في توفر كل الإمكانات البشرية والمادية، تحقيق الأهداف التي تتحقق من خلال توفير مطلب المواءمة، التكامل الذي يتمثل في علاقات التعاون والتنسيق بين الوحدات، والكمون الذي يشير إلى تدعيم النمط، واحتواء التوترات التنظيمية واستيعابها.

المحور الثالث: مابعد البنيوية عند بيير بورديو:

ينطلق ما بعد البنيويين من فكرة أن: "تتشكل الهوية والحقيقة عن طريق الخطاب، فالخطابات هي طرق لتمثيل العالم، وعندما تأخذ شكل مادي فإنها عادة ما تفعل ذلك كاللغات والصور المستخدمة في النصوص"[17]، ومن بين علماء الاجتماع الذين تبنوا هذه النظرية والذي كان له إسهاما كبيرا في السوسيولوجيا المعاصرة عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو.

ولد بيير بورديو سنة 1930 بدونغان الفرنسية، عين أستاذا بثانوية مولان سنة 1955، درس بكلية الأدب في الجزائر العاصمة من سنة 1958 إلى 1960، بعدما كان قد أتى إلى الجزائر سنة 1955 لأداء الخدمة العسكرية، ليقوم بعد ذلك بدراسات إثنوغرافية في منطقة القبائل، وفي ليل الفرنسية من 1961إلى 1964، ومنذ 1964 في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، في 1981 أصبح أستاذا لعلم الاجتماع في كلية فرنسا، موازاة مع ذلك كان مديرا للدراسات بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية، مديرا لمركز علم الاجتماع الأوروبي، ويدير مجلة أفعال البحث في العلوم الاجتماعية منذ إنشائها سنة 1975، توفي بيير بورديو في 23 جانفي 2002[18]، تاركا أكثر من 35 كتابا و400 مقال.

انطلق بيير بورديو من أفكار علماء الاجتماع الذين سبقوه ناقدا إياها ومتجاوزا لها حيث انطلق من " أفكار نقدية للفلاسفة، والبنائيين خاصة تلك المتعلقة بالآباء الثلاث المؤسسين لعلم الاجتماع ماركس، فيبر ودوركايم، رسم بيير بورديو الخطوات والمفاهيم من أجل إعادة تعريفها وتجاوزها"[19] هذا ما جعله يركز على " كيفية تجدد البنيات، وكيفية إعادة إنتاجها، فضلا عن التركيز على سلوك الفاعلين باعتبارهم مسئولين عن إعادة إنتاج أوضاعهم"[20] حيث طور العديد من المفاهيم أبرزها

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

الهابيتوس، رأس المال الثقافي، العنف الرمزي(*)، الحقل (الحقل الجامعي، الحقل الأدبي، ...) وهذه الحقول هي فضاء للصراع والسلطة والهيمنة، حيث يكون الفاعلون فيها كما في لعبة الشطرنج، كل يتصرف على حسب موقعه، فهو من أطلق مفهوم اللعبة الذي استخدمه ميشال كروزييه في دراساته، كما استخدم مفهوم استراتيجية لكن بطريقة مغايرة نوعا ما لما استخدمه ميشال كروزييه* حيث اعتبر" أن الفعل لا يتم احتسابه بوعي على نطاق كبير، ولا يكون محكوما بقواعد مشددة، بل هو ارتجال مبيني بشعور عملي، وليس حسابا معقولا"[21] فهو يرى بأن الفعل الإنساني ينجم عن شعور عملي بالأشياء والذي يكون ضمن ظروف معينة تبعا للزمان والمكان.

أما الحقل فهو" شبكة علاقات موضوعية بين أوضاع اجتماعية مختلفة، تعرف موضوعيا في إطارها الوجودي، ومن خلال التحديدات المفروضة على من يحتلونها، وشكل بناء توزيع القوة أو رأس المال"[22]. وبالتالي فإن الحقل عبارة عن شبكة علاقات تتحدد وفقا للرأسمال والقوة التي يمتلكها الفرد، ووفقا للإكراهات التي تفرضها هذه العلاقات، إضافة إلى أن هناك مسافات بين هذه العلاقات وذلك وفقا لكل طبقة إذ يرى بورديو أن المكان الاجتماعي يتألف من" مجموعة أوضاع اجتماعية متمايزة عن بعضها، وهي تترجم في إطار العلاقات إلى مسافات تفاضلية تحدد الأوضاع المختلفة، بحيث تقابل كل طبقة أوضاع، طبقة سجايا وأذواق مرتبطة بجملة الشروط الاجتماعية المرتبطة بالوضع إن الفوارق في الممارسات، والخبرات المقتناة، والآراء المعبر عنها تتحول إلى فوارق رمزية وتؤلف لغة حقيقية."[23]

يعرف بيير بورديو الفعل بأنه " المزاوجة في الحركة التي ينجزها كل كائن بين الكينونة والتغير، سواء أكان التغير أثناء الإنجاز أم حصيلة التغير المنجز."[24] فالفعل يخضع لطبيعة الموقف وتغيره.

إن مجموع الأفعال تنتج "المنظومات الرمزية" التي "تتباين أساسا حسبما إذا كانت من إنتاج الجماعة بكاملها، وبالتالي ما إذا كانت الجماعة كلها تتملكها، أو ما إذا كانت، على العكس من ذلك، من إنتاج ثلة من المتخصصين، أو بكيفية أدق من إنتاج مجال إنتاج وتوزيع يتمتع باستقلال نسبي"[25] إذ يرى بورديو أن المنظومة هي نتاج نظم معينة مهيمنة ويتم قبولها وتوارثها دون مقاومة من الأفراد، حيث يؤكد على أن

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

جميع الرموز والممارسات الثقافية من طريقة لباس أو أكل، وحتى الفلسفة والدين تكرس التمايز الاجتماعي.

أتى بيير بورديو بمفهوم السلطة الرمزية التي يعني بها القدرة "على تكوين المعطي عن طريق العبارات اللفظية، ومن حيث هي قدرة على الإبانة والإقناع، وإقرار رؤية عن العالم أو تحويلها، ومن ثمة قدرة على تحويل التأثير في العالم، وبالتالي تحويل العالم ذاته، قدرة شبه سحرية تمكن من بلوغ ما يعادل ما تمكن من القوة (الطبيعية أو الاقتصادية) بفضل قدرتها على التعبئة"[26] من خلال صياغته لمفهوم السلطة الرمزية وسع بورديو فكرة المصلحة الاقتصادية لتشمل أيضا الثقافة بوصفها عبارة عن رأس مال قابل للتراكم والتبادل والممارسة، كما أنه لا يمكن فصل المصلحة المادية عن الثقافة لأن الوعي الثقافي لهذه المصلحة هو من يدفع الفرد للسعي نحو تحقيقها، ومن ثمة فإن الثقافة هنا " ليست الثقافة المعرفية فحسب كما يذهب بعض من يتعرضون لمعنى الثقافة. فنحن نمتد بمعنى الثقافة إلى الآفاق المتباينة التي تتسع لها الخبرة البشرية"[27].

السلطة الرمزية هي شكل من العديد من أشكال السلطة " من عهد إليه أن يكون ناطقا باللسان لا يستطيع أن يؤثر عن طريق الكلمات على أعضاء آخرين، ويؤثر عبر أعمالهم، على الأشياء ذاتها، إلا لأن كلامه يكشف الرأسمال الرمزي الذي وفرته الجماعة التي فوضت إليه الكلام ووكلت إليه أمر النطق باسمها وأسندت إليه السلطة"[28] وبالتالي فإن السلطة الرمزية للفرد وخطابه ولغته ليست سلطة خاصة به، وإنما استمدها من الجماعة التي تفوض له الكلام والنطق باسمها حيث يرى بورديو أنه "لا توجد أفكار خالصة فالمنتجات العقلية (الفلسفة والأيديولوجيات وكذلك الأدب والخيال والإبداع) هي انبثاق لبنيات اجتماعية من عصرها."[29] فالبيئة الاجتماعية هي التي تحدد التفكير ونوعيته، وفي هذا الصدد يرى ميشيل فوكو أنه لا توجد سلطة " تمارس دون انتزاع وتملك وتوزيع أو احتجاز لمعرفة ما. على هذا المستوى، لاتوجد المعرفة من جهة والمجتمع من جهة أخرى أو العلم والدولة، بل الأشكال الأساسية لـ السلطة- المعرفة"[30]

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

المحور الرابع: التفاعلية الرمزية عند هربرت ميد:

يعد العالم الأمريكي هربرت ميد (1863 ، 1931) المؤسس الأول للتفاعلية الرمزية، لديه العديد من المؤلفات فلسفة الفعل، العقل والذات والمجتمع، حركات العقل الاجتماعي، والتي تعتبر إسهاما كبيرا في العلوم الاجتماعية.

اهتمت التفاعلية الرمزية بالتحليل على مستوى الميكروسوسيولوجيا حيث أنها أبقت "اهتماماتها على مستوى وحدة الفعل الصغرى شأن نظرية الاختيار العقلاني، بيد أنها لا تهتم بقضية الاختيار بين سلّم المفاضلات قدر اهتمامها بقضية تشكل المعاني"[31] فقد قامت على تحليل مجموعة من الأسس ألا وهي الذات والعقل، التفاعل الاجتماعي، والمعنى الرمزي، حيث يعتبر ميد أن الذات " عضو نشط An acting organization، وليس عنصر تبادلي سلبي يستقبل ببساطة الأشياء ويستجيب لها حسب نوعية الدافع Stimuli. كما أن الذات تتحدد بمفهوم آخر ألا وهو الفرد، ويمكن أن يظهر ذلك من خلال علاقات التبادلية مع الآخرين وبالمجتمع."[32] فالذات هي الفرد في تفاعله التبادلي لكن ليس تفاعلا سلبيا يقتصر على الاستقبال، وإنما تفاعلا إيجابيا يكون فيه أحيانا مؤثرا وأحيانا أخرى متأثرا، هذا التفاعل الذي يكون مع الذات ومع الآخر منتجة بذلك التفاعل الاجتماعي الذي يرتبط بالاتصال وبمجموعة من الأدوار والمعاني والتي تتغير بدورها حسب المواقف وحسب الجماعة وعضوية الفرد فيها.

أما بالنسبة للمعنى الرمزي فإن ميد يعني بالمعنى الوعي فيرى أن الوعي " لا يشير فقط إلى العنصر الأول للفعل، بل أيضا يتضمن رمزا أو إشارة للفعل ككل The whole act. مثال على ذلك، إن الفرد الذي يقوم بالتدخين عندما يحاول البدء في إشعال سيجارته، فيدرك أو يعي ذاتيا ضرورة القيام بأعمال أخرى، حتى يتسنى لغير المدخنين أن يقوموا بفتح النوافذ أو ترك الحجرة، فهذا الإدراك سواء بالنسبة للمدخن أو غير المدخنين يسمى بالوعي الذاتي، والذي يشير بالإيماءات الأولى لحدوث عناصر الفعل الأولى"[33] أما الرمز فيعرفه بأنه: " الدافع المرتبط بالاستجابة الذي يظهر بصورة أولية أو مقدما"[34]، ومن ثمة فإن المعنى الرمزي يرتبط بالرموز والإشارات وكذلك الدوافع التي تؤدي إلى حدوث الفعل.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

وإذا ما أخذنا موضوع السلطة نجد أن التفاعلية الرمزية قد أطلقت عليها مصطلح القوة، فنجد علماء التفاعلية الرمزية درسوها في سياق التفاعلات الاجتماعية، حيث اعتبروها هي الأخرى موضوعا رمزيا خاضع للتأويل والتفسير من قبل الأطراف التي تتم بينهم التفاعلات فهم يرون أن القوة "تعرف من خلال مؤشرات ورموز ومعان يحملها أطراف العلاقة، فصاحب القوة مثلا يعرف موقعه في العلاقة القائمة ويعلم أن بإمكانه أن يتحكم ويؤثر، والطرف الخاضع بالمقابل يعلم موقعه وأن عليه أن يقدم تنازلات أو يمارس الخضوع والإذعان، وعندما يعمق النظر في علاقات القوة القائمة والمستمرة يتبين أن المعايير التي يطورها المتفاعلون حتما في بناء العلاقة تمثل مصدرا أساسيا للمعاني المتداولة في العلاقة"[35]، فالقوة تمثل معيارا للحرية والقيد اللذين يرتبطان بالفاعل الاجتماعي.

من هذا المنطلق أتت إسهامات بيتر بلاو في هذا الجانب والذي أتى بفكرة التبادل والاستغلال حيث يقول: " إن الحديث عن الحياة الاجتماعية، إنما يعني الحديث عن الارتباطات بين الأشخاص فهم يرتبطون ببعضهم في الحب والحرب، في التجارة والعبادة، في المساعدة والمنع، إنه في العلاقات الاجتماعية التي يؤسسها الأفراد حيث يجدون اهتماماتهم قد لقيت طريقها وأن رغباتهم أصبحت متحققة"[36] بالنسبة لبلاو فإن التبادل في العلاقات الاجتماعية هو الذي يؤدي إلى تحقيق الأهداف، لكن هذا لا يعني تحقيق الأهداف لجميع أطراف العلاقة، فهو يؤكد على أن هناك تفاوت في القوة هذا التفاوت في القوة يؤدي إلى فرض السيطرة والخضوع من قبل الشخص الذي يمتلكها، كذلك فإن السعي لتحقيق هذه الأهداف يكون عقلانيا ومقصودا " فالأفراد دائما ما يختارون ما يتناسب مع تحقيق أهدافهم، إننا نفهم من ذلك أن أفعال الفرد هنا مقصودة. وأن التصرفات وحتى المعتقدات لها مايبررها في داخل إدراكات الأفراد. أنها وحسب تشير إلى الطريقة المثالية التي من خلالها يمكن تحقيق أهداف معينة في إطار موقف محدد"[37] هذه العقلانية التي استخدمها ميشال كروزييه في تحليله للعلاقات والتي أسماها بالعقلانية المحدودة.

إن الحديث عن القوة يدعونا للحديث عن الاستغلال، ومن ثمة عن القوة الاستغلالية التي لا تنتج فقط عن تقديم الأمور المادية فحسب وإنما تتجاوز ذلك للأمور غير المادية،

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

فالشخص " الذي يمتلك قدرات معينة، يقدم من خلالها إسهاما مميزا لتحقيق أهداف الجماعة، فإنه يُحترم، ومن ثم فإن احترامه من قبل الآخرين يجعلهم يتبعون اقتراحه لأنهم يتوقعون من اتباع اقتراحه فائدة أكثر من اتباع اقتراح واحد آخر أقل اعتبارا"[38]، إن اتباع هذا الفرد لا يترتب عنه فقط الاحترام وإنما ينجم عنه كذلك الإذعان والخضوع من قبل الآخرين سواء كان ذلك يخدم المصلحة الشخصية للفرد الآخر أم لا، هذا النوع من القوة الناتج عن تقديم الخدمات أو المكافآت هو النوع الأكثر شيوعا وبروزا في علاقات التبادل بالنسبة لبلاو، الذي يرى أن هناك نوعا آخر أقل انتشارا ألا وهو القوة الجبرية الناجمة عن الجزاءات السلبية، وفي كلتا الحالتين ينتج الاستغلال والتبعية والإذعان، حيث يقول بيتر بلاو: [39] يؤسس الشخص قوة على الأفراد عندما يزودهم بالخدمات المطلوبة، وإذا قدم للآخرين الخدمات التي يطلبونها بشكل منتظم ولا يستطيعون الحصول عليها من مكان آخر، فإن الآخرين يصبحون معتمدين وفي موضع إجبار له بسبب هذه الخدمات، وما لم يستطيعوا تزويد الآخر بخدمات تجعله معتمدا عليهم اعتمادا متبادلا مساويا لما يقدم هو، فإن اعتمادهم الأحادي الجانب يجبرهم على الخضوع لطلباته خشية أن يتوقف عن الاستمرار في تقديم الخدمات التي تقابل حاجاتهم، إن تزويد الآخرين بالمنافع الضرورية، هو بلا شك الطريقة الغالبة في تحقيق القوة عن طريق تهديد الآخرين بالحرمان من المنافع التي يحتاجونها باستمرار ما لم يرضخوا. والخوف من العقاب على الرغم من أنه يمارس أكثر القيود صرامة إلا أنه يخلق الاعتماد والتبعية.

خاتمـــة:

يعتبر التحليل الاستراتيجي لميشال كروزييه من الأعمال السوسيولوجية الأقل تعرضا للانتقاد، وربما يعود ذلك كونه طبق مبدأ العلم تراكمي واعتمد على العديد من الأطر النظرية حتى المتناقضة منها ليشكل توليفة علمية، استطاعت أن تقدم العديد من التحليلات لمختلف العمليات التي تحدث داخل المجتمع بصفة عامة، والتنظيمات بصفة خاصة.

فقد نهل التحليل الاستراتيجي من النظريات السابقة، من خلال استخدام نظرة فيبر للفعل الاجتماعي، والتي لم تكن بارزة نظرا لاهتمام فيبر بالنظرة الكلية للتنظيم،

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

كما أنه استخدم السلبيات التي نتجت عن استخدام البروقراطية - الروتين والجمود- لتطوير تحليله، كما استخدم الانحراف عن المعايير التي أتت به البائية الوظيفية، ووظف مفهوم اللعبة الذي أتى به عالم الاجتماع بيير يورديو، ومن التفاعلية الرمزية اعتمد على الفعل المتبادل والذي يعنى به التأثير الذي يمارسه الفرد على الآخرين والذي يكون موجها بالعديد من الدوافع.

إن استخدام كروزيهه لهذه التوليفة من الدراسات لبلورة دراسة جديدة قائمة على الجمع بين النظريات الماكروسوسيولوجية والميكروسوسيولوجية يدفعنا إلى القول بضرورة الاستفادة من تراكمية العلم، دون التزمت إلى تصنيفات محددة، وكذا استخدام مناهج وأدوات جمع البيانات لدراسة وتحليل الواقع الاجتماعي وفقا لما يقتضيه هذا الأخير، كون علم الاجتماع هو علم لدراسة الحياة الواقعية الاجتماعية، لذلك بات من الضرورة المرونة في الانتقال من النظرية إلى الواقع ومن الواقع إلى النظرية.

الهوامش والمراجع:

(1)- فزة جمال، سوسيولوجيا التنظيمات أسس واتجاهات، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، .المغرب.ط1، 2013، ص 81.

(2)- الأصفر أحمد، أديب عقيل، دراسات معاصرة في علم الاجتماع- علم اجتماع التنظيم ومشكلات العمل- منشورات جامعة دمشق، كلية الأداب والعوم إنسانية قسم علم الاجتماع، 2012، ص 103.

(3)- دبلة عبد العالي، مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، منشور رقم 2. جامعة محمد خيضر بسكرة. دار الخلدونية للنشر والتوزيع. الجزائر، 2011، ص ص 48، 49.

(4)- العابد ليندة: النسق القيمي للإدارة وعلاقته بتوجيه الفعل التنظيمي- دراسة ميدانية بمركب النسيج E.A.TIT باتنة- أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم علم الاجتماع تخصص تنظيم وعمل جامعة الحاج لخضر باتنة قسم علم الاجتماع سنة 2011- 2012. ص 258.

(5)- بدر سعد عيد مرسي، الإيديولوجيا ونظرية التنظيم- مدخل نقدي- دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية. ط2، 2000 ص 97.

(6)- الشماع خليل محمد حسن، حمود خضير كاظم، نظرية المنظمة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط 1. سنة 2000، ص ص 34، 35.

(7)- الحسيني السيد، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1975. ص 51.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

(8)- عبد المعطي عبد الباسط، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص 93.

(*)- بالرغم من أن إسهامات بارسونز في دراسة التنظيمات تكاد تكون منعدمة، إلا وأنه من خلال نشره لمقالين تضمنا مجموعة من الآراء البنائية الوظيفية حول التنظيمات قدم وجهات نظر مهمة ساهمت في دراسة التنظيمات.

(9)- محمد محمد علي، دراسة في علم الاجتماع التنظيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1975، ص 17.

(10)- عمران كامل محمد، المدارس الاجتماعية المعاصرة، منشورات جامعة دمشق. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003، ج1، ص 70.

(11)- الحسيني السيد، مرجع سبق ذكره. ص 76.

(12)- سوينغوود آلان، النظرية في علم الاجتماع، ترجمة السيد عبد العاطي السيد، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة. مصر، 2005، ص 323.

(13)- كريب إيان، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، مراجعة محمد عصفور، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999. ص 67.

(14)- سوينغوود آلان، مرجع سبق ذكره، ص 321.

(15)- العابد ليندة. مرجع سبق ذكره، ص ص 159، 160.

(16)- تيرنر جونثان، بناء نظرية علم الاجتماع، ترجمة محمد سعيد فرح، منشأة المعارف، الإسكندرية. ط2، 2000، ص 89.

(17)- جونز فيليب، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة محمد ياسر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، سنة 2010، ص 265

(18)- Patrice bonnewitz. Premières leçons sur la sociologie de P. Bourdieu. Presses universitaires de France. 2e édition.1998. p p 4- 5 se comporter.

(19)- Patrice bonnewitz. Premières leçons sur la sociologie de P. Bourdieu. Presses universitaires de France. 2e édition.1998. p 11.

(20)- صيام شحاتة، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص177.

(*)- يقصد بورديو بهذا المفهوم خضوع فئات معينة في ضوء بنى اجتماعية محددة، وهو ناتج عن التشويه الثقافي.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

(21)- سكوت جون، خمسون عالما اجتماعيا أساسيا- المنظرون المعاصرون- ترجمة محمود محمد حلمي-، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2009 ص 117.

(22)- الحوراني محمد عبد الكريم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. الأردن، ط1، 2008، ص 78.

(23)- المرجع نفسه، ص 79.

(24)- بورديو بيير. جان كلود باسرون، إعادة الإنتاج- في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم- ترجمة ماهر تريمش- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص 387.

(25)- بورديو بيير. الرمز والسلطة. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء المغرب. الطبعة الثالثة. سنة 2007، ص 54.

(26)- المرجع نفسه، ص ص 55، 56.

(27)- فرج عبد اللطيف حسين، الفرد وما يحتاجه، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص 255.

(28)- بورديو بيير. الرمز والسلطة، مرجع سبق ذكره، ص 59.

(29)- كابان فيليب، دورتيه جان فرنسوا ، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن. دار الفرقد دمشق سوريا. ط1، 2010، ص 213.

(30)- فوكو ميشيل، دروس ميشيل فوكو- 1970، 1982- ترجمة محمد ميلاد، دار توبقال للنشر، المغرب الدار البيضاء، ط1، 1988، ص 13

(31)- كريب إيان، مرجع سبق ذكره، ص 119.

(32)- عبد الرحمن عبد الله محمد، النظرية في علم الاجتماع- النظرية السوسيولوجية المعاصرة- دار المعرفة الجامعية مصر، 2002 ص 173.

(33)- المرجع نفسه، ص ص 176- 177.

(34)- المرجع نفسه، ص 177.

(35)- الحوراني محمد عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص 27.

(36)- الحوراني محمد عبد الكريم، تأويل الاستغلال في نظرية علم الاجتماع- العناصر التكميلية لنظرية سوسيولوجية في الاستغلال- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2010، ص 129.

(37)- صيام شحاتة، مرجع سبق ذكره، ص186.

(38)- الحوراني محمد عبد الكريم، تأويل الاستغلال في نظرية علم الاجتماع- العناصر التكميلية لنظرية سوسيولوجية في الاستغلال- مرجع سبق ذكره، ص 132.

(39)- المرجع نفسه، ص ص 134، 135.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X